الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

ألفاظ الخليقة الأولى للإنسان بين القرآن الكريم ونظريّة التطوّر لداروين (دراسة دلاليّة)

أ.م. د. زهور كاظم زعيميان
الجامعة المستنصريّة/ كليّة التربية الأساسيّة/ قسم اللغة العربيّة 07704767375

Zuhoor1927@gmail.com

(أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً)مريم 67

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تعدّ دراسة دلالة الألفاظ من أهم مجالات المعنى وأكثرها خصوبة وتعقيداً، والتعمّق في دلالة اللفظة يفتح النوافذ المغلقة فتظهر بواطن الكَلم.

إنَّ الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم في مراحل خلق الإنسان دقيقة جداً تتوافق في معناها مع ما توصّل إليه العلم الأحيائي والتشريحي، وقد تناولت التفاسير هذه الألفاظ بالتحليل والتفصيل.

لذا تناول البحث الألفاظ القرآنيّة التي تصف تكوين الإنسان الأوّل ومن ثم ذريّته لموازنتها مع النظريّة الماديّة التي وضعها تشارلز داروين.

وقد يتبادر إلى الذهن أنّ من تناول هذه المسألة علماء أغلبهم محدثون، لكن الآثار في الكتب القديمة ستبيّن لنا أنّ داروين أخذ نظريته-على الرغم من مخالفتها للكتب السماويّة- من كتب المسلمين الأوائل مع تغيير في الأسلوب فهو لم يتوصّل إليها بنفسه.

وهو بنظريته أضاف حجّة واهية لأصحاب المذهب الماديّ الذين يزعمون أنّ الكون الماديّ موجود قديم لم يخلقْه خالق، وأنّ القوانين الطبيعيّة والمخلوقات تكوّنت بانتخاب الأفضل؛ لذا فالإنسان تطوّر عن مخلوق أقلّ منه رتبة، وبهذا تكون الصدفة هي العظيمة التي تسيّر الكون، وجعلته كما نراه اليوم، فنحن من نتائج الصدفة.

وقع هذا البحث بمقدّمة، وتمهيد فيه معنى الإنسان في اللغة والاصطلاح، أمّا المبحث الأوّل فكان عن الإنسان في بداية الخلق، وفي مسألة آدم أبي البشر، ومراحل خلق الإنسان، ثم جاء المبحث الثاني عن نظرية التطوّر وما جاء في الحضارات وتكمن أهميّة هذا المبحث بكون نظريّة داروين هي القاعدة الأساسيّة التي اعتمد عليها الملحدون خلال المئة والأربعين سنة الأخيرة، لذا فلابدّ للباحث من بذل ما بوسعه في بيان الحقيقة العلميّة وموازنتها مع الكتب السماويّة لاسيما كتاب الله الخالد القرآن الكريم المنزّه عن التحريف والتغيير.

نحن هنا بصدد تفنيد نظريّة تنكر حقيقة خلق الإنسان الأوّل وبالنتيجة فهي تنكر وجود الخالق وهنا تكمن أهميّة دراسة الموضوع ومصدر الفكرة الداروينيّة وكان للغة اليد الطولى في توضيح نتائج الألفاظ القرآنية.

وفي خاتمة البحث ذكرت أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث، وقفل البحث بقائمة المصادر التي استند إليها البحث، واعتمدت المنهج التحليلي الوصفي، أسأل الله أن يحظى بقبول جهدي فهو لوجهه الكريم.

الكلمات المفتاحيّة

الإنسان، تراب، النطفة، العلقة.

التمهيد

الإنسان في اللغة

الإنسان "كلّ شيء خالف طريقة التوحّش"[1]، وقد ورد لفظ الإنسان في القرآن الكريم مع الجنّ على وجه التقابل"[2].وفي السومرية كلمة "إنسان" تعني رجل[3]، وكذلك في الأكادية إنسان أي رجل[4].

وفي الاصطلاح، قال الجرجانيّ: "الإنسان: هو الحيوان الناطق"[5].

بينما يؤكّد السيد طباطبائي رحمه الله على أنَّ اللغة والبيان والتفهيم هي التي تميّز الإنسان عن الحيوان وليس النطق فقط؛ لأنّ النطق للإنسان والحيوان قال تعالى: **(وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ)**[6] فالآية شاهد على أنّ المنطق للإنسان والحيوان، وإنّ تعلّم النبيّ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ لمنطق الطير من منن الله عليه وهو من مظاهر شخصيته الشريفة[7].

النطق للأحياء فقط

وهناك وجه آخر لقوله: (حيوان ناطق) لأنّ صفة النطق ملازمة للحياة، فلا ينطق الإنسان الميّت كما لا تنطق الأرواح، وكذلك لا تنطق الأرواح يوم القيامة؛ لأنّ النطق ماديّ لا يحصل إلا باللسان قال تعالى: **(قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ)**[8] فلمّا كانت الأصنام غير حيّة فهي لا تنطق، وقال تعالى وهو يصف الإنسان يوم القيامة: **(هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ)**[9]؛ فهو فقد الحيوانية الناطقة و في الكشّاف وجه آخر لمعنى الآية الكريمة فقال: ((أو جعل نطقهم كلا نُطق؛ لأنّه لا ينفع ولا يسمع))[10]؛ وكلمة حيوان تعني الحياة الحقيقية، قال تعالى: **(وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ)**العنكبوت64. فالدنيا حياة والآخرة حيوان؛ الحيوان: أي دار الحياة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها، و الحيوان: مصدر حي، سمي به ذو الحياة وأصله حييان فقلبت الياء الثانية واواً وهو أبلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة.

وقد ورد لفظ الإنسان في القرآن الكريم في عشرات المواضع، وهو اسم لسورة من سور القرآن الكريم، وعند تتبّع اللفظةفي القرآن الكريم تبيّن أنّها وردت بين دلالتي المخلوق البشريّ الأوّل، والإنسان بصفات الذم، كاليائس، والكافر كقوله تعالى: **(وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإنسان مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ)**[11]، والضعيف كقوله

---

[1] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس: 1/ ١٤٥.

[2] مقاييس اللغة، مادة(جنّ): وانظر: بحث الأصل المشترك للغات، دراسة دلاليّة مقارنة بين القرآن الكريم والأديان السماويّة د. زهور كاظم زعيميان: ص 134/ http://mohamedrabeea.net/library/pdf/5c93422b-75dc-4a12-afe0-2772f97af7d6.pdf.

[3] ينظر: شريعة حمورابي- ترجمة النص المسماري مع الشروحات اللغوية- القواعد اللغوية-مقدمة الشريعة- المواد القانونية (1-100) بيت الحكمة، بغداد، 2003م: ج1/ 175.

[4] انظر: معجم اللغة الأكادية، سليمان عامر: 86.

[5] التعريفات، للجرجاني: مادة (إنسان).

[6] النمل: 16.

[7] انظر: تفسير الميزان: 15/367.

[8] الأنبياء:63.

[9] المرسلات:35.

[10] الكشاف، للزمخشريّ: 6/190.

[11] هود: ٩.

تعالى: **(وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا)**[12]، والظلوم كقوله تعالى: **(إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ)**[13]، والعجول كقوله تعالى: **(وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا)**[14]. وغيرها من صفات لا مدح فيها لا يسع المقام لذكرها.

أمّا الأنام فهي من فرائد القرآن الكريم وردت مرّة واحدة في قوله تعالى: **(وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ)**[15] قيل عنها: ((الأنام: الناس، وقيل: الإنس والجن، وقيل: كلّ ما يدبّ على الأرض))، أمّا (الناس) فهي جمع إنسان، أصلها الأناسُ فحذفت الهمزة فقيل (الناس) [16].

أطوار خلق الإنسان في القرآن الكريم

الإنسان الأوّل

آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

ذكر (الإنسان) في القرآن الكريم كأوّل مخلوق آدميّ، ومنه قوله تعالى: **(وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ)**[17] وقصد بالإنسان آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ [18].

ولُقّب بالخليفة لبيان مهمته على الأرض، قال تعالى: **(وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ)**[19].

ونجد آثارا في مختلف بقاع الأرض تدلّ على وجود آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أو أحداث رافقت حياته في قصته التي ذكرت في القرآن الكريم منها على سبيل المثال قبور تنسب لآدم، أو ابنه قابيل، أو أثر دم هابيل الذي قتله أخوه قابيل في سوريا، أو جبل عرفات الذي ينسب اسمه للقاء آدم بحوّاء بعد فراق.

آدم النوعيّ والشخصيّ

وقف المفسرون عند اسم (آدم) المذكور في القرآن الكريم، ولا يفوتنا أن نذكر أنّه ذكر بالكتب السماوية فقد جاء في سفر التكوين من الكتاب المقدّس: ((ثم **جَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ مِن تُرَابِ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً**))[20] نحن أجساد نفخت فيها الروح فتكونت أنفسنا التي وصفها بالحيّة مع وجود الروح.

آدم النوعي أي أنّ كلمة آدم لا تعني شخصا معيّنا، وإنما رمز لجنس الذكور على الأرض، أمّا آدم الشخصي فيعني وجود شخصية حقيقية على أرضنا خلقت في فترة غير معلومة بدقّة، ولم نجد دليلا على خلاء الأرض من سواه عند خلقه، والعلم والحفريات تثبت وجود مومياوات أقدم من آدم بآلاف السنين فهل هذه القصّة تخيلية؟

((وقال الثعالبي التراب بالعبرانية آدام فسمي آدم به ويرى أهل الكتاب أنّ "آدم" اسم عبري معناه الإنسان))[21].

---

[12] النساء: 28.

[13] إبراهيم: 34.

[14] الإسراء:11.

[15] الرحمن: 10.

[16] انظر: إشتقاق أسماء الله: 24.

[17] المؤمنون: 12.

[18] مجمع البيان: 6/ 86.

[19] البقرة: 30.

[20] التكوين: 2/ 7، ص11.

[21] الألفاظ الأعجمية في الأمثال العربية القديمة: 16.

كلام في كينونة الإنسان الأوّلى

إنّ القوانين الطبيعيّة المرتبطة بالإنسان هي الأكثر غموضاً في هذا الكون.

((إنّ الآيات القرآنيّة ظاهرة ظهوراً قريباً من الصراحة في أنّ البشر الموجودين اليوم - ونحن منهم - ينتهون بالتناسل إلى زوج أيّ رجل وامرأة بعينهما وقد سمى الرجل في القرآن بآدم وهما غير متكوّنين من أبٍ وأمٍّ، بل مخلوقان من تراب، أو طين، أو صلصال، أو الأرض، على اختلاف تعبيرات القرآن الكريم))[22]. نحن أولاد آدم بعينه، آدم الشخصيّ.

إنّ مراحل خلق آدم عليه السلام الإنسان الأوّل التي بدأت بجسد طيني و تبدّله إلى ذي روح بعد النفخ فيه، مجهولة الكيفية والمدّة ففي التوراة خصّص لها اليوم السادس من أيام الخليقة: ((**وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ، فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ.**))[23]. ففي التوراة نفي قاطع لتطوّر ينتهي بمخلوق اسمه الإنسان وانما أخرج الله من الأرض أحياء مختلفة وأعظمها الإنسان.

والنصّ القرآني على أنّ تكوين آدم لم يكن بنطفة، وأنّ النطفة لا تتكوّن بدون أبٍ، لذا شبّه النبيّ عيسى عليه السلام بآدم وليس بإنسان آخر، قال تعالى: (**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**)[24]، فإنَّ الآية نزلت جواباً عن احتجاج النصارى على بنوة عيسى بأنّه ولد من غير أبٍ بشريّ، ولا ولد إلّا بوالد فأبوه هو الله سبحانه، فردّ في الآية الكريمة بما محصله أنّ صفته كصفة آدم حيث خلقه الله من أديم الأرض بغير والد يولده؛ فلم لا يقولون بأنّ آدم ابن الله؟

ولو كان المراد بخلقه من تراب انتهاء خلقته كسائر المتكوّنين من النطف إلى الأرض كان المعنى: أنّ صفة عيسى ولا أبٍ له كمثل آدم، حيث تنتهي خلقته كسائر الناس إلى الأرض، ومن المعلوم أنّ لا خصوصيّة لآدم على هذا المعنى حتى يُؤخذ ويقاس إليه عيسى فيفسد معنى الآية في نفسه ومن حيث الاحتجاج به على النصارى.

و لا خلاف بين المسلمين والمسيحيين بولادة عيسى عليه السلام من بطن أمّه، وهناك فرق بين ولادة آدم وعيسى عليهما السلام فإنّ النبيّ عيسى عليه السلام لم يخلق بالحجم الذي خُلق عليه آدم عليه السلام وأنّ النبيّ آدم عليه السلام لم يُخلق في رحم، وانفرد الطبرسي بقوله: إنّ آدم من تراب والنبيّ عيسى عليه السلام خلق من الريح، ولم يخلق قبل أحداً من الريح، كما خلق آدم من تراب ولم يخلق قبله أحد من التراب [25].

مراحل خلق نسل الإنسان الأوّل

المرحلة الأولى

التراب والنطفة

فالتراب لآدم عليه السلام والنطفة لذريته يمثلان المرحلة الأولى وسوف نرى تماثل التسلسل، فبحسب التسلسل القرآني فالتراب يسبق النطفة، وفصّل القرآن الكريم هذا التسلسل في قوله تعالى: (**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى**

---

[22] تفسير الميزان: 16/ 255.

[23] التكوين: 1/ 24-27.

[24] آل عمران: 59.

[25] انظر: مجمع البيان: 2/ 251.

ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا)[26].

فالمعنى أن يكون التراب لآدم والنطفة لنسله. وبهذا المعنى عبّر لقرآن الكريم عن التراب بالبعيد والنطفة هي القريب. وهناك مفاهيم شاعت خطأ ومنها أن الخلق يعني الإيجاد من العدم؛ والدليل في قوله: إنّ الإنسان خُلق من مادة التراب ثم مادة النطفة.

المرحلة الثانية

الطين اللازب والعلقة

إنّ المرحلة الثانية من مراحل خلق الإنسان الأوّل (آدم)، وهي مرحلة خلط التراب بالماء قال تعالى: **(إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ)**[27].

ولازب من فرائد القرآن الكريم ((طين لازب "اللازب الملتزق بعضه ببعض بحيث يلزمه ما جاوره))[28]. فهو يوازي مرحلة العلقة، ويشبه التحوّل الذي حصل لها.

فالتراب مع الماء يصبح طينا لازبا، والنطفة مع ماءِ الرجل تصبح عَلَقة، وقد صرّح القرآن بذلك قال تعالى: **(وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ)**[29] فالآية وضّحت أن الطين مرحلة من مراحل خلق آدم، أما العلقة فهي من مراحل خلق نسله وفيها ما يدلّ على أنّ ماء الرجل هو المكوّن للجنين، وجعل نسله من ماء مهين.

إنّ مرحلة العلقة في خلق الإنسان –نسل آدم- تأتي بعد النطفة، حيث تتعلّق بالمشيمة **(ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً)**[30] وخلق في هذه الآية الكريمة بمعنى (جعل) التحويلي أي حوّلنا النطفة إلى علقة، وهي كلمة لها دلالتها العربيّة الخاصّة، وهو ما يبرر وقوع المترجمين بعدم الدقّة عند ترجمتها، فقد ترجمت العلقة التي تتكون في مراحل الجنين بأنّها: خثرة دمويّة باللّغة الانكليزيّة والفرنسيّة والفارسيّة وهي شبيهة بطفيلي العلق[31]، ونجد أنّ اشتقاقها من الفعل "عَلَق" يمكن أن يحمل معناه، وهو التعلّق والالتصاق، لكنّ المترجمين استعملوا كلمة خثرة دمويّة، واعترض بوكاي على ترجمتهم واقترح أن تكون ترجمتها (الشيء المتعلّق)؛ لأنّ العلقة لا تتوقّف عن التعلّق بالمشيمة مدّة ثمانية أشهر ونصف[32].

وبهذا يكون للعلقة ثلاثة معان الأوّل هو الدودة التي تتغذى على الدم، والثاني الشيء الذي يتعلّق، ونحن نعلم تعلّق الجنين بجدار الرحم ، وهي تشبه انبات غصن بعد تثبيته وغرسه بجدع شجرة أخرى فالغصن الجديد يستمد حياته من الشجرة المثبت فيها.

والثالث وهو الذي اعترض عليه الدكتور وليام وهو الخثرة الدمويّة وعدّه خطأ علمياً في القرآن الكريم، وهو يعود إلى الترجمة غير الدقيقة للآية الكريمة[33]، ولكن من قال له بأنّ القرآن الكريم قصد بالعلقة الخثرة الدمويّة؟!

---

[26] الحج: 5.

[27] الصافات: 11.

[28] تفسير الميزان: ١٧/ ١٢٥.

[29] السجدة: 8.

[30] المؤمنون: 13.

[31] انظر: القرآن الكريم والكتاب المقدس في ضوء العلم: 11.

[32] انظر: المصدر نفسه: 12.

[33] انظر: القرآن والكتاب المقدّس في ضوء العلم مناظرة بين وليام كامبل والدكتور نائيك: 47.

وفي أسطورة أنكي وننخرساك أنّ أنكي أخذ شيئا من الطين الذي وسط مياه العمق وخلقت منه إنسانا[34].
وكذلك في العهد القديم يؤكّد على خلق الإنسان من طين: ((أُذْكُرْ أَنَّكَ جَبَلْتَنِي كَالطِّينِ، أَترجعنِي بعد إِلَى التُّرَابِ؟))[35]، وفي السفر نفسه: ((أَنَا أَيْضًا مِنَ الطِّينِ تَقَرَّصْتُ))[36].

المرحلة الثالثة

أشرف المراحل

نفخ الروح في آدم ونسله

وهي المرحلة التي استحقّ فيها آدم السجود الملائكي بأمر من الله تعالى: **(فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ)**[37] نجد أنّ الآية الكريمة تنسب الروح لله فهو هنا روح الله جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي نفخ في الجسد الذي خلقه الله من طين، و ووقعت مرحلة نفخ الروح بعد التسوية.
وإضافة الروح لله، كإضافة العبد لله، فنقول عبد الله وإضافة البيت لله فنقول بيت الله، فنفخت فيه من روحي أي روح الله، وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ .
أمّا بقيّة نسله ومنهم نحن فنصيبنا منها النفخة الربّانيّة التي تتهيأ الأنسجة والخلايا لتلقي هذه النفخة في الشهر الثالث من الحياة الجنينيّة، وينتقل الخلق بهذه النفخة من حال إلى حال[38].
فقد حدّد البخاري ومسلم بأنّ تحلّ الروح بدن الإنسان عن طريق المَلك الموكّل بالأرحام بأمر من الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إنّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح... }[39].

العلاقة بين النفخ والحياة

إنّ الروح الربانية تمنح الحياة لمن تنفخ فيه، وقد اختلفت نفخة الحياة في القرآن الكريم فكانت الأولى نفخة لخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ
أمّا في خلق عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ففي قوله تعالى: **(وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ)**[40] وهنا (روح) المقصود هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ((وإنّما سمي روحاً؛ لأنّ كلّ نَفَس من أنفاسه يصير روحاً لحيوان ..ومنهم إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو نافخ الأرواح في الأجساد))[41] فالملائكة الموكلين بالأرواح جبريل وإسرافيل. أمّا الإنجيل فقال: ((وجدت حبلى من الروح القدس))[42].

---

34 انظر: من ألواح: علي فاضل عبد الخالق: 247.

35 كتاب أيوب: 10/9.

36 كتاب أيوب: 33/6، وانظر: الحكمة: 15/8، وإشعياء: 64/8.

37 الحجر:29.

38 انظر: الإنسان حكمة الروح والجسد: 38.

39 أخرجه البخاري (3208)، ومسلم (2643) باختلاف يسير.

40 الأنبياء:91.

41 عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: 56.

42 متى: 1/ 18.

ولما لم يكن في تكوين عيسى عليه السلام رجل هيّأ الله تعالى جبريل لينفخ في مريم عليها السلام ليكون عيسى عليه السلام كأبينا آدم عليه السلام قال تعالى: **(إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ)**[43] فخصّ النبيّ عيسى عليه السلام بروح منه تعالى.

وجعل الزمخشري ضمير الهاء المضاف إلى الروح عائدا إليه عزّ وجلّ: ((ودلّ بإضافة الروح إلى ذاته على أنّه خلق عجيب لا يعلم كنهه إلا هو))[44] فهو من الأمور الغيبيّة التي لا تدركها العقول.

وأرى أنّ الضمير في "وروح منه" يعود إلى جبريل عليه السلام بدليل قوله تعالى: **(وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا، قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا، قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا)**[45] فيكون المعنى: وكلمته ألقاها إلى مريم وروح من جبريل.

وأرى أنّ النبيّ عيسى عليه السلام لم يمر بمرحلة العلقة التي تتكوّن من ماء الرجل وإنما من النطفة التي شبهت بتراب آدم عليه السلام ثمّ مرحلة غيبيّة لا نفهم كنهها تكوّنت منها ونفخ فيها جبريل عليه السلام روحا كما نفخ في الطين اللازب في خلقة آدم عليه السلام .

النفخة المقدّسة المباشرة من ملاك الله روحه جبريل عليه السلام اختصّ بها اثنان فقط، النبيّ آدم عليه السلام والنبيّ عيسى عليه السلام .

وهناك نفخة لخلق الطير، قال تعالى: **(وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ)**[46]

والنوع الثاني من النفخ في الطير الطيني لم يذكر فيها عند النفخ الروح وإنّما ذُكر النفخ فقط فتكون طيراً، فالنفخ صدر من النبيّ عيسى عليه السلام وليس من الروح –جبريل.

روح الجنين

واختلف المفسرون في روح الجنين وقد نقلنا رأي بأنّها تكون بنفخة من الملائكة الموكّلين بالأرواح ورأي آخر بأنّ روح الجنين من روح أمّه وأبيه، وليست كأبينا آدم الأوّل عليه السلام جاء في تفسير البرهان للبحراني ((ثم يبعث الله ملكين خلاقين، يخلقان في الأرحام ما يشاء، فيقتحمان في بطن المرأة، من فم المرأة، فيصلان إلى الرحم، و فيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال و أرحام النساء، فينفخان فيها روح الحياة و البقاء، و يشقّان له السمع و البصر، و جميع الجوارح، و جميع ما في البطن، بإذن الله تعالى))[47].

فكانت الأم هي الوسيط لنقل الروح للطفل وليس النفخ مباشرا للجنين.

---

[43] النساء: 171

[44] https://www.altafsir.com/Tafasir.asp?tMadhNo=1&tTafsirNo=2&tSoraNo=32&tAyahNo=8&tDisplay=yes&UserProfile=0&LanguageId=1

[45] مريم: 17-21.

[46] آل عمران: 49، وانظر: آية المائدة: 110.

[47] https://www.altafsir.com/Tafasir.asp?tMadhNo=4&tTafsirNo=110&tSoraNo=23&tAyahNo=13&tDisplay=yes&UserProfile=0&LanguageId=1

تكوين الإنسان

لن تجد حضارة على الكرة الأرضيّة لم تتطرّق إلى موضوع الخليقة، أو التكوين وفي مختلف العصور.
وقد وضع العلماء نظريات عن بداية خلق الإنسان يخالف بعضها ما جاء في الكتب السماويّة المنزّلة من الخالق العالم بشؤون خلقه، وبعضها الآخر يوافق ما جاء في السماويّة، أو يشبهها.
وقد تطّرق المفسرون المحدثون إلى نظريّة داروين في أماكن عدّة من التفسير تارة بشكل مباشر، وتارة بتلميح بسؤال عن الإنسان و ظاهر الآيات القرآنيّة واضح بأنّ بدايتنا الإنسيّة انطلقت من آدم وحوّاء.

الحضارة السومرية

وأقدم ما وصلنا ما قاله السومريون في أصل الإنسان هو أسطورة الخلق السومريّة:
يقول "صموئيل نوح كريمر: "إن المفكرين السومريين... اعتقدوا اعتقادًا جازمًا بأن الإنسان صُنع من طين، وإنه خُلق من أجل غرض واحد فقط، ذلك هو أن يعبد الآلهة ويخدمها بتزويدها بالطعام والشراب والمسكن ليتوافر لها وقت الفراغ لأعمالها الإلهيّة[48].
وهذا لا يثير الشك فالكتب السماويّة تؤكّد على وجود صحائف وكتب سماويّة تسبق التوراة والزبور ولا شكّ بأنّ معلوماتها واحدة لأنّ مصدرها واحد مع وجود التحريف ولا أظنّ التحريف يمسّ الخليقة الأولى.
فالألواح السومريّة تشير إلى وجود ملائكة ثمانية-الصناع الإلهيين- أمروا بمزج لبّ الطين لتكوين الإنسان[49]، وهو ما يفسّر قوله تعالى: **(وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)**[50] فاستعمل صيغة الجمع أما قول علماء اللغة بأنّ هذا الجمع للتعظيم فهو لا يصحّ؛ لأنّه يعني أنّ الجماعة أعظم من المفرد الواحد والله الواحد أعظم من كلّ شيء.
وهناك نص سومري مهم جدا :
((السيد الإله أنليل قد جعل كل ما هو نافع يبدو ناصعا
بعد ذلك عمل على أن يظهر الإنسان الأوّل
فحفر شقا على الأرض في منطقة دورانكي[51]
ووضع بدايات للبشرية في الشقّ
وعندما بدأ البشر يظهر من الحشيش من الأرض
كان الإله ينظر مرتاحا إلى شعبه السومري))[52].
ودورانكي التي تعني مدينة نفر وتقع في العراق ذكرها سيبويه قائلا: ((والنسب إليه نفريّ، وقيل الناس كلّهم... وجمع نفر هم رهط الإنسان وعشيرته))[53].
وبحسب هذا النص فإنّ الإنسان الأوّل آدم عليه السلام خُلق في العراق[54].
هذا النص يوافق قوله تعالى في القرآن الكريم: **(وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا)**[55].

---

[48] لسومريون تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم - ترجمة د. فيصل الوائلى ص 199.

[49] https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/biblical-criticism/275.html

[50] الحجر: 26.

[51] دورانكي النعت المقدّس لمدينة نفر: مقدمة في أدب: طه باقر: 95. .. ومدينة نفر مدينة عراقين تقع في محافظة القادسية تتبع إداريا قضاء عفّك.

[52] الديانة: رشيد فوزي: 166.

[53] ذكرها سيبويه في باب النسبة إلى الأسماء.

[54] أثبتنا ذلك في بحث (الشرق والمستشرقون في ميزان اللغة: نشر في المؤتمر الدولي التاسع (اللغة العربية صاحبة الجلالة عام 2023م)

[55] نوح: 17.

ولو تدبّرنا نصّا آخر من الأسطورة البابلية:
(أريد أن أصنع شبكة
من الدم وأكون هيكلاً عظميا
وأقيم كائنا بشريا
ليكن اسمه الإنسان
أريد أن أخلق هذا الكان البشريّ
هذا الإنسان
ليقوم بخدمة الآلهة
فيعيش هؤلاء بسلام))[56].
فالشبكة الدموية قد تكون نطفة الأمشاج المتكونة من ماء الرجل وبيضة المرأة بعد اختلاطهما يمشج أحدهما بالآخر فالأمشاج اختلاط الماء بالدم [57].

الفيلسوف الإغريقي انتكسمندر (610 ق. م)

قال الفيلسوف الإغريقي انتكسمندر إنّ نشأة الكائنات الحيّة هو نتيجة تأثّير الشمس في الأرض, وأنّ الأرض كانت في البداية طينيّة أكثر مما هي عليه الآن، وبفعل الشمس دارت العناصر الرطبة في جوفها وخرجت على شكل فقاقيع وتولّدت الحيوانات وظهر بعد ذلك الإنسان شنيع الصورة ناقص التركيب ثم تقلّب حتى وصل إلى الصورة الحاليّة[58].

الجاحظ (ت 255هـ)

ومسألة الانتقاء التي ذكرها داروين هي الأخرى مأخوذة من التراث الإسلامي فقد ألّف أبو عثمان الجاحظ، ، كتابه "الحيوان" عن كيفية تغير الحيوان عبر ما سماه أيضا بالانتقاء الطبيعي.

يعد كتاب الحيوان للجاحظ كتابا موسوعيًّا يقدم معلومات موسعة عن 350 حيوانًا، ويقدم فيه الجاحظ أفكارًا تحمل تشابهًا لنظرية داروين للتطور، يقول الجاحظ في كتابه إن الحيوانات تشتبك في صراع على البقاء والموارد حتى تتكاثر وحتى لا تفترسها حيوانات أخرى. ويرى أن عوامل بيئية تساعد الكائنات على تطوير سمات جديدة لضمان البقاء، وبهذا تتحول إلى أنواع أخرى، ويرى الجاحظ في كتابه الحيوان أيضًا أن الحيوانات التي تبقى وتنقل صفاتها وسماتها الناجحة إلى ذريتها.

قدّم الجاحظ مفهوم السلاسل الغذائية واقترح نظامًا لتطوّر الحيوان يتضمّن الانتقاء الطبيعي، وتحديد البيئة، وربما نقل السمات المكتسبة، وهو يرى أنّ المادّة غير الحية تتحول إلى مستوى النبات، وأن الحيوانات تتطوّر من النباتات، وأن الإنسان هو مرحلة تطوّرية من الحيوان. كما احتوى كتاب الحيوان للجاحظ على بذور العديد من النظريات اللاحقة في علم الأحياء وعلم الحيوان قال: ((إنّ كل كبير فأوّله صغير))[59].

---

[56] المعتقدات الدينية: لابات رينيه: 61.

[57] انظر: تفسير الطبري للآية الكريمة 2 من سورة الإنسان.

[58] انظر: أصل الأنواع: 52.

[59] الحيوان: 7.

قسّم الجاحظ العالم بما فيه من الأجسام إلى جماد ونام، وعدّ دلالة جماد التي ذكرها الحكماء كدلالة موات، وهناك قسم ثالث ليس من الأحياء ولا من الموات وهي الأفلاك، والماء، والنار، والهواء، ثم قسم النامي (الأحياء) إلي حيوان ونبات[60]، وفي قول للجاحظ: ((ليس الديك من الكلب في شيء))[61] ردّ مسبق على نظرية داروين.

أخوان الصفا(القرن الرابع الهجري)

وقد ذُكر تكوين الإنسان في كتب المسلمين القدماء منه ما جاء في رسائل أخوان الصفا[62] ولا نستبعد اطلاع الغرب لاسيما المستشرقين على رسائلهم ومنهم المستشرق دي بور محمد بن أحمد النهروجوري[63].

ويبدو أنّهم خاضوا في نظريّة التطوّر بشكل أقرب للواقع بقولهم: ((إنّ المعادن متّصل أوّلها بالتراب وآخرها بالنبات ...والنبات آخره متصل بالحيوان، وعدّوا نبات خضراء الدمن في المرتبة النباتيّة الأولى أمّا النخل فله أعلى المراتب النباتيّة مما يلي الحيوانيّة، وذلك أنّ النخل نبات حيوانيّ؛ لأنّه مباين في بعض أحواله أحوال النبات فإناثه غير ذكوره ولقاحها من الفحولة كلقاح إناث الحيوان وإذا قطعت رؤوس النخل جفّ وبطل نموه ومات وهذا من شأن الحيوان لا من شأن النبات، وكذلك فللحلزون أول المراتب الحيوانيّة وآخر مرتبة الحيوان متصل بأوّل مرتبة الإنسان كالقرد في التقليد والفيل في الذكاء والنحل في التدبير))[64].

فهو جعل النخل متطوراً بين أصناف النباتات حتى قرُب من الحيوان لكنّه ليس هو، وجعل القرد متطوراً في المرتبة نحو الإنسان لكنّه ليس هو.

ابن مسكويه (ت 421هـ)

وضع ابن مسكويه (ت 421هـ) قبل عشرة قرون تقسيماً للنباتات تبدأ بالحشائش وتنتهي برتبة الأفق الأعلى من النبات الكرم والنخل، وأنّه إذا ارتقى أكثر لم يعد له صورة النبات، وقبِل حينئذ صورة الحيوان؛ لأنّ النخل حصل على نسبة قويّة من الحيوان ومشابهة كثيرة منه وجعل الجمّار بمنزلة العقل في النخل؛ وهو السبب في حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أكرموا عمّتكم النخلة فإنّها خلقت من بقيّة طينة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ [65].

وتابع مسكويه ما ذهب إليه أخوان الصفا بأن يبدأ الحيوان بالحلزون وأقرب مراتب الحيوان إلى الإنسان مرتبة القرود وليس بينها وبين الإنسان إلا اليسير الذي إذا تجاوزه صار إنساناً فهو يقبل التأديب بالفهم والتمييز؛ لكنّه _أي القرد- خسيس دنيء جداً فضلاً عن الإنسان الكامل النطق، وهو يرى أنّ الزنج أقرب إلى القرد من رتبة الإنسان، فليس بينهم وبين القرد كثير فرق؛ لهذا ساءت أحوالهم وقلّ نفعهم فكانوا عبيداً ومستخدمين فيما تستخدم فيه البهيمة، وجعل رُقيّ النطق دليلاً على الفهم والتيقّظ والذكاء، وتستمر المراتب بالرقيّ حتى يبلغ مرتبة الحدس، وكأنّما ينظر الغيب من وراء ستر رقيق وعندها يقرب إلى الأفق الذي يتّصل به إلى أفق الملائكة أي الوجود الذي هو أعلى من الوجود الإنساني[66].

ومن يتّتبع كتاب ابن مسكويه يعلم بأنّه صاحب نظريّة التطوّر التي نسبها الغربيون لأنفسهم، ففي كتابه الفوز الأصغر، ذكر تسلسل الرقّي من الأسفل إلى فوق، من الحضيض إلى الذروة، ومنح الإنسان المرتبة الأخيرة

---

[60] انظر: الحيوان: 26-27.

[61] الحيوان: 2/ 17.

[62] تعرف أخوان الصفا كجماعة سرية عاشت في القرن الرابع، الهجري (من 334 إلى 373 هجرية)، في البصرة كتبت 52 رسالة، بشكل عام، ما وصلت إليه الثقافة والعلوم في زمانها، ولم يعرف من أشخاصها سوى خمسة انظر: رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء: 1/5.

[63] المصدر والصفحة نفسها.

[64] رسائل أخوان الصفاء: 1/ 15.

[65] انظر: الفوز الأصغر: 78-80.

[66] ص 81-83.

بالرقيّ والتطوّر، وأنّه آخر الموجودات، وأنّ التركيبات تناهت عليه ووقفت عنده[67] وهو عين ما قاله الفيلسوف الإغريقي انتكسمندر (610 ق. م)، ثم يؤكّد على اتفاق الأوائل على إثبات الصانع جلّ ذكره [68].

القزويني (ت 682هـ)

وقد ذكر في كتابه (عجائب الموجودات) أنّ أول المخلوقات هي الملائكة، ثم الحيوانات البحريّة، ثم أنواع الطيور، ثم الهوام والحشرات[69]، وقال: ((فإنّ الغذاء جماد لا يصير دماً ولحماً وعظماً بنفسه، كما أنّ البُرّ لا يصير طحيناً، وعجيناً، ورغيفاً حتى تعمل فيه الصنّاع))[70].

وجعل المخلوقات مراتب، فالأولى للجماد، ثم النبات، ثم الثالثة للحيوان، فإنّه جمع بين النشوء، والنموّ، والحسّ، والحركة، وهذه الصفات لكلّ الحيوانات، حتى الذباب والبعوض[71]

وهو يؤكّد على تعدد أنواع الحيوانات، مع خصوصيّة الصفات قائلاً: ((إنّ الله خلق لكلّ حيوان من الأعضاء ما يتوقّف له بقاء ذاته ونوعه، لا زائداً ولا ناقصاً؛ ولذلك اختلفت اشكالها واعضاؤها، وتنوعت أنواعها بأنواع كثيرة))[72]، فالتشابه لا يعني الانحدار من حيوان واحد؛ لأنّ التنوّع قديم منذ الخلق الأوّل، وتحول النبات إلى لحم لا يمكن أن يكون بدون تدخّل من قوة عظمى.

تشارلز داروين(1809-1882)

أمّا في القرن التاسع عشر فيتربّع عرش علم الأحياء داروين الذي وضع نظريّة التطوّر، وثارت حولها مناقشات وكتب خلال قرنين من الزمن فماذا قال داروين؟

شيء من حياة داروين

ترك داروين دراسة الطب والكهنوت ليكون خبيرا جيولوجيا وبدأ بحثه عن كلّ ما يجده من الكائنات الحيّة نباتات حيوانات .. وقال بأنّ الإنسان نتيجة تطوّر عن حيوان القرد[73].

يستغرب داروين من تمسّك الكتّاب بفكرة أنّ الأنواع الحيّة هي انجازات ثابتة وغير قابلة للتغيير وأنّه قد تمّ خلقها على نحو منفصل عن بعضها، وقليل من علماء التاريخ يؤمنون بأنّ الأنواع الحيّة تخضع للتعديل[74].

يقول داروين: ((ولا أحد يستطيع أن يفسّر لماذا في بعض الأحيان يجري توارث نفس الخاصيّة في أفراد مختلفين من التابعين لنفس النوع، أو في أنواع مختلفة.. ولماذا يعود الطفل في بعض الصفات إلى جدّه أو جدّته، أو إلى بعض أسلافه الأكثر قدماً))[75]

---

67 الفوز الأصغر: 4.

68 الفوز الأصغر: 9.

69 عجائب الموجودات: 55.

70 عجائب الموجودات: 63.

71 عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: -250-249.

72 عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: -250.

73 أصل الأنواع، نشأة الأنواع الحيّة عن طريق الانتقاء ـوالاحتفاظ بالأعراق المفضّلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة: تشارلز داروين، ترجمة : مجدي محمود المليجي، تقديم سمير حنا صادق، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 2004م.

74 انظر: أصل الأنواع: 37.

75 أصل الأنواع: 69-70.

وسؤاله يفنّد نظريته فالتوارث في الصفات يثبت الأصل الإنساني، فلم نجد إنسانا بذيل قرد ورثه من أجداده ولم نجد قردا بصفات إنسانية أو مخلوقا وسطا بين الاثنين ولماذا تطوّر قرد دون غيره، فإذا كان القرد الذي تطوّر إلى إنسان فهل تطور قرد دون أخوته؟ وهل حدثت قفزة في هذا التحوّل ؟ حتي لو أخذ التطوّر مليون سنة فأين مرحلة الوسط؟ نعم قالها (أخوان الصفا وابن مسكويه بعدهم) أنّ القرد أقرب الحيوانات إلى الإنسان من حيث التصنيف لكن العلم قال كلمته بأنّ الكروموسومات في القرد عددها (48) بينما عدد كروموسومات الإنسان (46) وأي خلل في عددها يؤدي إلى تشوه خلقي كما في متلازمة داون أو ما يطلق عليهم بالمنغولي وغيرها من التشوهات الخلقية، ويصرّ المؤمنون بنظرية داروين على نظريتهم فقالوا اندمج كروموسومان اثناء التطور، ولماذا لم تندمج كروموسومات لاحقا وهو أيضا يعني بالضرورة أن نتوقّع تطوّرا جديدا ينتج لنا كائنا آخر أكثر تطوّرا من الإنسان، والظباء أيضا لديها 46 كروموسوم.

((وفقا لعلم الأحياء الجزيئي فيقول فرانسيس كريك؛ إنّه من المستحيل أن يتطوّر البشر من القرود فهو أمر مستحيل وفق شفرات الحمض النووي))[76].

نعم ليس لنا شاهد رأى عمليّة خلق آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ سوى ما ذكرته الكتب المقدّسة لكنّا لو فرضنا وجود إنسان عاش جاهلا لا يعلم بأنّه عاش فترة في بطن أمّه ثمّ أخبرناه بأنّه عاش هناك فترة فسوف ينكر علينا قولنا؛ لأنّه جاهل بهذا الأمر أمّا نحن فلا ننكر تلك الفترة لأنّا نرى تلك الفترة من حمل النساء.

وكذلك مسألة خلق آدم وعيسى عليهما السلام لم يبق على وجه الأرض شاهدا عليها؛ لكن الله تعالى أخبرنا عنهما، وأنّه خلق هذا الكون الدقيق بأكمله بـ (كن) وبتقدير عظيم قال تعالى: **(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر)**[77]**.**

تناول تشارلز داروين في كتابه "أصل الأنواع" تطور العين كأحد الأمثلة الرئيسيّة التي استخدمها لتوضيح نظريته في التطور بالانتخاب الطبيعي، فقد أشار داروين إلى أن العين، بتعقيدها الظاهر، قد تطورت تدريجياً عبر سلسلة من التغيرات الصغيرة المفيدة للكائن الحي على مر الزمن[78].

أمّا بنو آدم في القرآن الكريم فقد قال تعالى: **(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ)**[79] فهذه الآية في مقام بيان اتحاد أفراد الإنسان من حيث الحقيقة وأنّهم على كثرتهم رجالا ونساء إنما اشتقوا من أصل واحد وتشعبوا من منشأ واحد فالأصل واحد والمنشأ واحد.

والآيات السابقة تكفي مؤونة هذا البحث فإنّها تنهي هذا النسل الجاري بالنطفة إلى آدم وزوجته وتبيّن أنّهما خلقا من تراب فالإنسانيّة تنتهي إليهما.

وذكر أحد المفسّرين أنَّ الطبقة الثانية بعد آدم وحواء تكاثرت (أخوة وأخوات) : ((الطبقة الأولى من الإنسان وهي آدم وزوجته تناسلت بالازدواج فأولدت بنين وبنات (إخوة وأخوات) فهل نسل هؤلاء بالازدواج بينهم وهم إخوة وأخوات أو بطريق غير ذلك ظاهر إطلاق قوله تعالى وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء الآية على ما تقدّم من التقريب أنّ النسل الموجود من الإنسان إنّما ينتهي إلى آدم وزوجته من غير أن يشاركهما في ذلك غيرهما من ذكر أو أنثى ولم يذكر القرآن للبثّ إلا إياهما ولو كان لغيرهما شركة في ذلك، لقال: وبثّ منهما ومن غيرهما أو ذكر ذلك بما يناسبه من اللفظ، ومن المعلوم أنّ انحصار مبدأ النسل في آدم وزوجته يقضي بازدواج بنيهما من بناتهما))[80].

---

[76] القرآن الكتاب المقدّس في ضوء العلم، نايك: 112.

[77] القمر: 49.

[78] أصل الأنواع: 2/ 15.

[79] النساء:1

[80] الميزان: 4/144.

وفي آخر البحث فالموضوع واسع ولا يمكن أن أفي حقّه بهذه الأوراق، لكنّا بذلنا ما نسأل الله أن يتقبله منّا في خدمة كتابه العظيم.

الخاتمة

يمكن أن نلخص نتائج البحث:

أوّلاً: بيّن البحث توضيح مراحل خلق الإنسان الأوّل كما تعدّدت دلالتها في القرآن الكريم فهو المخلوق الذي يدلّ على عظمة خالقه وكان للفظة الإنسان في القرآن الكريم استعمالان.

الأوّل: في المخلوق الأوّل وهو ما ركّز عليه البحث وتناول مراحل نشوء الإنسان وتكوينه وكينونته

الثاني: هو الإنسان ذاته ووصف بصفات لا تعدّ محمودة كالعَجل، والكفر، والغرور وغيرها، وهي واضحة الدلالة؛ لذا نأى البحث عن تناولها؛ لتجنّب الإطالة.

التراث العربي القديم تناول موضوع الخلائق ومراتبها وقد تناوله الجاحظ، و أخوان الصفا، وبن مسكويه، وعدّو مرتبة الإنسان أعلى مرتبة من بين المخلوقات وذكروا أنّ القرد أقرب الحيوانات مرتبة إلى الإنسان، وأشار الجاحظ إلى التطوّر؛ وهو ما يؤكد اطلاع اروين على التراث الإسلامي لا سيما المخطوطات الموجودة في أوربا.

كما تناول البحث نظريّة التطوّر أو ما تسمى بنظريّة داروين.

إنّ القرآن الكريم لم يتعارض مع العلم مهما كشف العلماء فالإنسان لم يُخلق من العدم بحسب القرآن الكريم وإنّما كان شيء غير حي وحوّله الله تعالى إلى كائن حي بالروح.

لقد أثّرت هذه النظريّة في فكر قارئيها وتبنّاها الملحدون فصارت سندا لهم وجرفت ثلّة من المسلمين فصاروا يعتقدون بها وقاموا بتوظيف هذه النظريّة في تفسير القرآن الكريم ولووا عنق الكلمات القرآنيّة لجعلها في صالح النظريّة حتى كأنها منزّلة من السماء.

كلّ ما في الكون من الجمادات والأحياء ينسب إلى الخالق العظيم.

إنّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خلق من تراب ثم أصبح طينا بعد خلطه بالماء في الحضارات السومرية والكتاب المقدس والقرآن الكريم

وخير ما أختم به البحث المتواضع ذكر الصلاة على محمّد وآل محمد.

المصادر

القرآن الكريم

1. **إشتقاق أسماء الله:** لأبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي (ت 340هـ) تحقيق: عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت- لبنان، 1406هـ- 1986م.
2. **أصل الأنواع، نشأة الأنواع الحيّة عن طريق الانتقاء والاحتفاظ بالأعراق المفضّلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة:** تشارلز داروين، ترجمة : مجدي محمود المليجي، تقديم سمير حنا صادق، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 2004م.
3. **الألفاظ الأعجمية في الأمثال العربية القديمة:** سليمان فتح الله سليمان، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة،1431هـ- 2010م .
4. **الإنسان حكمة الروح والجسد، تأويل الماني والدلالات:** د. عليّ محمّد بد الله، ط 1، جمهوريّة مصر العربيّة ، 2018 .
5. **الإنسان ذلك المجهول:** (كتب الجوائز العالميّة) ، الدكتور أليكس كاريل (الحائز على جائزة نوبل). ترجمة: عادل شفيق.

6. **بحار الأنوار:** الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: المجلسي_ محمّد باقر (ت 1111ه) دار احياء الكتب الإسلاميّة.
7. **التعريفات:** للجرجاني، ضبط وتصحيح جماعة من العلماء باشراف الناشر، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، ط1، 1983م.
8. **الحيوان:** أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، 1384هـ- 1965م.
9. **رسائل أخوان الصفاء وخلان الوفاء:** مكتب الإعلام الإسلامي، قم، جمادى الأولى 1405هـ.
10. **شريعة حمورابي**: ترجمة النص المسماريمع الشروحات اللغوية- القواعد اللغوية-مقدمة الشريعة- المواد القانونية (1-100) بيت الحكمة، بغداد، 2003م.
11. **صحيح البخاري:** الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبدالله بن أبي الحسن، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه، الجعفي مولاهم، البخاري (ت 256هـ).
12. **صحيح مسلم:** أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري الناشر: دار الجيل بيروت.
13. **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات:** زكريا بن محمد بن محمود الكوفي القزويني (ت 682هـ)، تحقيق: على صراط الحقّ ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1421هـ- 2000م.
14. **العلم وسلامة حقائقه في القرآن والتوراة والإنجيل:** سامي عامري، تقديم: عبد الرحمن الشهري، ط4، دار رواسخ، 2021.
15. **غرر الحكم ودرر الكلم:** محمد علي الأنصاري، جاب هشتم، طهران.
16. **الفوز الأصغر:** للشيخ أبي على أحمد المعروف بابن مسكويه (ت 421هـ) مطبعة السعادة، مصر، 1325ه.
17. **القرآن الكريم والكتاب المقدس في ضوء العلم،** مناظرة عامة بين ذاكر نائيك ود. ويليام كامبل: 2000م.
18. **الكتاب المقدس الدراسي**: مقالات وموضوعات ومداخل دراسيّة مع النصوص الكتابيّة الكاملة القاهرة- مصر، 2011م.
19. **لسان العرب:** محمّد بن مكرم بن على، ابن منظور- أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711هـ) دار صادر، بيروت.
20. **مجمع البيان في تفسير القرآن:** الطَبرسي- أمين الإسلام أبو علي الفضل بن المحسن (ت 548هـ)، ط2، بيروت- لبنان، دار المرتضى،1430هـ-2009م.
21. **معجم اللغة (الأكدية البابلية، الآشورية) باللغة العربية والحرف العربي:** سليمان عامر، منشورات المجمع العلمي، بغداد، 1999م.
22. **معجم مقاييس اللغة**: ابن فارس - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت 395هـ) تح: عبد السلام هارون ، دار الفكر، لبنان- بيروت، ط1، 1399هـ- 1979م .
23. **الميزان في تفسير القرآن**: الطبابطائي- محمّد حسين، ط1، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت –لبنان1417ه-1997م.

البحوث

1. **الأصل المشترك للغات، دراسة دلاليّة مقارنة بين القرآن الكريم والأديان السماويّة** د. زهور كاظم زعيميان، ص 134/
http//mohamedrabeea.net/library/pdf/5c93422b-75dc-4a12-afe0-2772f97af7d6.pdf

2. **التحليل اللغوي لمحنة خلق القرآن التي حصلت في زمان الإمام علي الهادي عليه السلام وقوله فيها:** د. زهور كاظم زعيميان 230.(http//tasleem.alameedcenter.iq/index.php?res=7)
3. **الحوار في كلام أمير المؤمنين عليه السلام**: د. أنسيّة الخزعلي، جامعة الزهراء طهران (https://arabic.balaghah.net/sites/default/files/file/002_1.pdf).
4. **دلالة الروح والنفس**: د. زهور كاظم زعيميان، مجلة الذكوات البيض، 2023.